Coptology

النعمة،

حسب التسليم الكنسي المدوَّن

في كتاب الروح القدس للقديس باسيليوس

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٧

www.coptology.org

ثرثرة الهراطقة:

"لقد بات واضحاً أنهم يثرثرون كثيراً حول الحروف لكي يدعِّموا رأيهم المنحرف" (٢: ٤)، فالجدل حول استخدام الألفاظ مأخوذ من الفلسفة الوثنية (الفصل الثالث)؛ لأن استخدام حروف الجر هو "استخدام غير مفيد، بل هو حسب التعبير المطلوب" (٤: ٦)[١].

الروح القدس مقيم فينا ومنه ننال الحياة الأبدية:

"وتوجد أمثلة أخرى استُخدِم فيها حرف "من" للروح القدس، مثل: "من يزرع بالروح يحصد من الروح الحياة الأبدية" (غلا ٦: ٨). ويوحنا أيضاً يكتب: "ومن هذا نعلم أنه مقيم فينا من الروح الذي أعطاه لنا" (يوحنا ٣: ٢٤) (٥: ٩).

الروح يوزَّع ولا يعاني التقسيم:

"جوهره بسيط وقوته متنوعة، حاضرٌ كله في كل أحد؛ لأنه حاضرٌ في كل مكان. موزَّعٌ على الكل دون أن يعاني التقسيم، يشترك فيه الكل دون أن يفنى .. والذين ينالونه يتمتعون به على قدر ما تحتمل طبيعتهم وليس على قدر قوة الروح القدس" (٩: ٢٢).

---

(١) نرجو من القارئ مراجعة الكتاب، إما على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، أو في الطبعة الورقية التي صدرت مرتين، كانت آخرتهما في مايو ٢٠١٤، بالقاهرة عن جذور للنشر.

الروح يتَّحد بالنفس:

"وإنما اتحاد الروحُ بالنفس يحدث عندما تختفي الأهواء التي تنمو في النفس بسبب اتحادها ومحبتها للجســـد .. وعندما تتنقى النفس من عار الدنس ... وتعود إلى جمالها الطبيعي، تتمسك بالصورة الملوكية وتسترد شكلها القديم .. والروح القدس مثل الشمس يساعد العين النقية، فترى عينك –في الروح القدس نفسه– صورة غير المنظور أي الله ... هكذا النفوس التي يسكن فيها الروح القدس، وتستنير به، تصبح بدورها روحانية وتشع منها نعمة للآخرين. وتنال هذه النفوس من الروح معرفة المستقبل، وفهم الأسرار، وإدراك الخفايا وتوزيع العطايا الصـــالحة، والمواطنة الســـماوية .. **وبقاءً دائماً في الله والتشـــبه به وأسمى من كل هذا أن نصير آلهةً**" (٩: ٢٣).

كيف نصبح مسيحيين؟

كيف نصـبح مسـيحيين؟ "الإجابة معروفة للكل بالإيمان ... بوضـوح نولد من جديد **بالنعمة** التي تُعطى في معموديتنا. وهل هناك طريقة أخرى ســوى ذلك بها نخلص؟ (١٠: ٢٦)

بالروح القدس نسجد، وبه ننال عطية التبني:

"ومَن يجحد هذا الإيمان فليس له نصيب في السجود الحقيقي، فلا يستطيع أحد أن يسـجد للابن إلَّا بالروح القدس، فلا يسـتطيع أحد أن يدعو الآب أبا إلا بروح التبني أي الروح القدس" (١١: ٢٧).

النعمة ليست معنوية:

"أما النعمة فهي تعطى بالدم" (١٤: ٣١).

عمل الروح القدس في المعمودية:

الحياة الجديدة تحدث لنا "عندما تتقبل المياه الجسد مثلما يتقبل القبر الجسد، بينما يسكب الروح القدس المحيية، ويجدد نفوسنا من موت الخطية، ويعيدنا إلى الحياة الأولى. وهذا هو ما يحدث في الميلاد الجديد من الماء والروح، أي الموت الذي يتم في الماء، كذلك الحياة التي تُبعث فينا من جديد بواسطة الروح .. ومن هذا يتضح لنا أن النعمة ليست من المياه .. وإنما حضور الروح القدس .." (١٥: ٣٥).

ماذا يعمل الروح القدس فينا ولأجلنا؟

"بالروح القدس، استعدنا سكنانا في الفردوس، وصعودنا إلى ملكوت السموات، وعودتنا إلى مكانة البنوة وحريتنا لأن ندعو إلهنا الآب، وشركتنا في نعمة المسيح، وتسميتنا أبناء النور وميراثنا في المجد الأبدي، وباختصار شديد حصولنا على ملء البركة (رو ١٥: ٢٩)" (١٥: ٣٦).

ولا يجب أن نخطئ؛ لأن باسيليوس يضيف إلى ما سبق: "في هذه الحياة (الحاضرة) والحياة الآتية وكل العطايا الصالحة التي أُعدت لنا والتي نراها حسب المواعيد .. نرى انعكاس هذه العطايا كأنها حاضرة ولكننا ننتظر التمتع الكامل بها، فإذا كان العربون هكذا، فكم يكون الكمال؟ وإذا كانت باكورة الثمار فائقة، فماذا عن الكمال؟" (١٥: ٣٦).

الروح القدس والمواهب ضد التدليس المعاصر:

"في كل أعمال الله، فإن الروح غير منفصل عن الآب والابن، وعندما يوزِّع الله الأعمال، والابن يقوم بتوزيع الخدمة، أما الروح القدس الحاضر معهما دائماً، فهو بإرادته يوزِّع المواهب لكلٍّ حسب استحقاقه، ولذلك قيل: "أنواع مواهب مختلفة أما الروح

فواحد، أنواع خدم لكن الرب واحد وأنواع أعمال ولكن الله واحد هو الذي يعمل الكل في جميع الناس" (١كو ١٢: ٤-٦)" (١٦: ٣٧).

الروح القدس هو مصدر قداسة القوات السماوية:

لأن هذه القوات حسب كلمات باسيليوس نفسه تظل مقدسة لأنها تنال نعمة التقديس بواسطة الروح القدس" (١٦: ٣٨). "فلا تقديس بدون الروح القدس .. وتقديسهم يأتي إليهم من خارج طبيعتهم ويبث فيهم كمالهم بشركة الروح القدس" (١٦: ٣٨). ولو حدث انفصال عن الروح حسب عبارات باسيليوس "ولو افترضت أنك أزلت (حذفت) الروح القدس تنحل قوات الملائكة وتهلك الكراسي ورؤساء الملائكة" (١٦: ٣٨). "إن الإعلان عن الأسرار هو بنوع خاص عمل الروح القدس حسبما كُتب "الله يعلنه لنا بالروح (١كو ٢: ١٠). "وكيف يمكن أن يروا وجه الآب بدون الروح القدس" (١٦: ٣٨).

التدبير يتم بواسطة الروح القدس:

"وإذا تحدثنا عن التدابير الخاصة بالإنسان التي تمت بواسطة إلهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح (تيطس ٢: ١٣)، فمن يمكنه أن ينكر أنها تمَّت بنعمة الروح القدس؟ ... صار الروح مسحةً وصار حاضراً بلا افتراق في جسد الرب" (١٦: ٣٩).

"وهو حاضر فينا سرياً" (١٦: ٤٠) ولذلك "عندما نستنير بالقوة التي فينا .. وعندما يكون روح المعرفة حاضراً بلا انفصال قائماً في ذاته لمن يحب رؤية الحقيقة وقوة معاينة الصورة لا من الخارج، بل يقودهم إلى معاينتها في ذاته (الروح القدس)" (١٦: ٤٧).

ما هو المقصود بعبارة من الخارج؟

وجواب القديس باسيليوس أن قداسة الخليقة "ليست كامنة في كيان المخلوقات بل توهب من الخارج من الله" (١٩: ٤٨)، أي أنها تضاف إلى الكيان المخلوق الذي لا توجد فيه هذه النعمة.

في الفصل ٢١ يحذر القديس باسيليوس من الوقوف عند المعنى الحرفي "ويشغل نفسه بحفظ الشريعة ويصبح كمن صار قلبه مغلقاً بالمعنى الحرفي اليهودي" (٢١: ٥٢).

وتحذير القديس باسيليوس يجب أن يؤخذ بكل عناية. فقد كتب: "ولم أعرف بعد شخصاً واحداً نال شركة الروح القدس ويقبل الاستهانة بكل ما ذكرته أو ينسى اشتراك الروح القدس في كل شيء مع الآب والابن أو يفصله عن الآب والابن" (٢٤: ٥٥).

وبما عرف عن باسيليوس من دقة لغوية ولاهوتية، وبعد أن أكَّد وحدة عمل الثالوث يسأل: "كيف يمكن أن نفصل الروح عن قوته الإلهية المحيية .. حقاً إن الروح هو عطية الله، ولكنه عطية الحياة؛ لأن شريعة روح الحياة هي التي جعلتنا أحراراً (رو ٨: ٢)، وعطية القوة "لأنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨)، فهل لذلك السبب تستهين به؟ ألم يعطنا الله الآب نحن البشر ابنه الوحيد عطيةً، ولذلك قيل: "الذي لم يضن بابنه بل بذله لأجلنا فكيف لا يهبنا معه كل شيء" (رو ٨: ٣٢).

وأخيراً:

يصرخ باسيليوس لعل الآذان تسمع؛ لأنه بعد أن شرح الإيمان، وأكَّد أن الروح القدس هو ذاته عطية، ختم: "وطبقاً لذلك يصبح الذين يتخذون من محبة الله العظيمة وشفقته فرصةً للتجديف أشد نكراناً من اليهود، هؤلاء يقاومون الروح لأنه أعطانا الحرية لأن ندعو الله أبانا وأرسل روح ابنه إلى قلوبنا صارخاً أبا أيها الآب" (٢٤: ٥٦).

كلمة تعزية من القديس باسيليوس:

"وكما أن الذي يتعلم الفن يظل فيه، هكذا نعمة الروح القدس تظل في الذي يقبلها حاضـرة دائماً، ولكن لا تعمل في النفس بشـكل دائم .. لأن الفن يظل كامناً في الفنان ويعمل فقط عندما يسـمح الفنان لقوة الفن بأن توجهه، **هكذا الروح القدس حاضرٌ دائماً** في الذين يستحقون عمله، ولكنه يعمل حسب الاحتياج .. والروح القدس يسـكن في النفس مثل الإدراك الذي يكون فكره في القلب وأحياناً يتحول إلى كلمة ينطقها اللسـان، وهكذا يكون عمله عندما يشـهد لأرواحنا (رو ٨: ١٦)، أو عندما يصرخ في قلوبنا أبا أيها الآب (غلا ٤: ٤) (راجع ٢٧: ٦١).

****

أيها الملك السمائي المعزِّي،

لقد افترى عليك قومٌ عندنا وقالوا من على المنابر اننا ننال قوتك فقط،

وكأن أُقنومك الإلهي هو قوة وليس الأقنوم الثالث.

اغفر لنا إن كنا تأخرنا في الرد عليهم،

أو الانبطاح أمام سلطانهم المزيف الذي أخذوه من الذات لا منك.

أطرد روح الزعامة والكبرياء،

وحِل فينا دائماً حسب وعد الابن الوحيد،

واحفظ أم الشهداء من عثرات المعلمين.

د. جورج حبيب بباوي